

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

محمد بنيس شاعر وناقد مغربي معاصر، دكتوراه في الأدب العربي ورئيس تحرير مجلة الثقافة الجديدة التي تصدر في المغرب، له أكثر من عشرة دواوين شعرية وعدة دراسات أدبية، بدأها بدراسته الهامة لظاهرة الشعر المعاصر في المغرب: مقارنة بنيوية تكوينية 1979⁽¹⁾. ولقد بين الباحث في هذه الدراسة أسباب اهتمامه بالشعر المغربي المعاصر وأسباب تبنيه المنهج البنوي التكويني في النقد الأدبي و يصف أدوات المنهجية في عمله قائلاً: حاولت أن أرتبط بالقراءة التي تؤلف بين داخل المتن وخارجه، مستفيداً من البنيوية في الكشف عن قوانين البنيات الدالة، ومن المادية التاريخية الجدلية في تفسيرها لطبيعة هذه البنيات ووظيفتها الجمالية والاجتماعية، عملاً بنصيحة تروتسكي في نقده للشكلايين الروس، ومعتمداً على البنيوية التكوينية⁽²⁾. وهو وصف يكشف حقيقة هامة في العناصر المشكلة للبنيوية التكوينية عند هذا الباحث.

يؤكد غولدمان على مبدئين أساسيين يرتكز عليهما كلّ منهج اجتماعي جدلي، أو بنيوي تكويني ويلخصهما في قوله: إنّ أول معاينة عامة يرتكز عليها الفكر البنوي التكويني تكمن في أن كلّ تأمل في العلوم الإنسانية يحدث لا من خارج المجتمع، بل إنّ هذا التأمل جزء- تقل أو تكبر أهميته حسب الوضعية بطبيعة الحال- من الحياة الثقافية لهذا المجتمع، ومن خلالها للحياة الاجتماعية العامة، بالإضافة إلى أن التكون الخاص للفكر، وبنفس المقياس حيث أن الفكر جزء من الحياة الاجتماعية، يغير قليلاً أو كثيراً حسب أهميته وفاعليته هذه الحياة الاجتماعية نفسها.⁽³⁾ فالمبدأ الأوّل يبين نوعية العلاقة الموجودة بين الفكر والواقع، أما المبدأ الثاني يقدمه لنا بقوله: إنّ الفكرة الثانية الأساسية لكل علم اجتماع جدلي وتكويني هي أن الأفعال الإنسانية أجوبة شخص فردي أو جماعي، تؤسس محاولة

(1) محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثيّة- دراسة في نقد النقد، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001، ص275.

(2) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص11.

(3) المصدر السابق نفسه، ص23.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

لتغيير وضعية معطاة في اتجاه ملائم لتطلعاته، وهذا يعني أن كلّ سلوك وبالتالي كلّ فعل إنساني له خاصية دالة ليست دائما واضحة، ولكن على الباحث إظهارها من خلال عمله.⁽¹⁾ ونفهم من هذا المبدأ الثاني أنه متكامل مع المبدأ الأول ومتم له وأن النصّ الأدبي له وظيفة اجتماعية يسعى نحو تحقيقها، ومن هنا فرض هذا المنهج على الباحث - محمد بنيس - تقسيم كتابه إلى ثلاثة مجالات، وهي التي تشملها الأبواب الثلاثة التي سننتعرف عليها في محاور هذا الفصل.

I - قراءة المتن الشعري:

هو الباب الأول من الكتاب حيث قرأ الباحث المتن الشعري المعاصر في المغرب قراءة داخلية من خلال تجليات بنيتين هما: السطحية والعميقة.

ذلك أن النصّ الإبداعي - حسب المنهج البنيوي التكويني - هو مجموعة من الجمل المترابطة وفق تركيب يوفر لها التآلف، ويعطيها صفة التلاحم بين الأجزاء التي قد تتراءى أشتاتا⁽²⁾. إذ لا بد من قراءة لغوية للمتن، ولن يكون الأمر في هذه الحالة غير تقطيع وتفكيك الأجزاء والوحدات المكونة لأهم النصوص التي نراها تختزن الوحدات الأكثر دلالة وهذه القراءة تمر عبر تجليات البنية السطحية.

1- تجليات البنية السطحية:

ينقلنا مصطلح البنية السطحية إلى ميدان النحو التحويلي، فهو المستعمل الأول لهذا المصطلح إلى جانب مصطلح ثان هو البنية العميقة،⁽³⁾ وقد أحدث تشومسكي رائد هذا الميدان ثورة عالمية في اللسانيات المعاصرة بحديثه حول هاتين البنيتين، فاللغة في رأيه ظاهرة بالغة التعقيد ودراستها تقتضي بناء نظرية بإمكانها أن تفسر القضايا اللغوية، ولهذا

(1) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب - مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص23.

(2) محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة - دراسة في نقد النقد، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001، ص277.

(3) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب - مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص39.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

لجأ إلى البنيتين المذكورتين، واستفاد النقد البنيوي من توظيفهما ليس في الكشف عن قوانين اللغة فحسب بل في مجمل المظاهر الخارجية للنص الشعري، وهذا هو المقصود بالبنية السطحية حيث تشمل اقتصاد النص من النواحي الزمانية، البصرية، النحوية والبلاغية، أي ما يركب النص كلغة ذات خصوصية في المجال العام للغة،⁽¹⁾ إذ يتوجب علينا تفكيك الوحدات الدالة المركبة للنصوص داخل المتن، وهذه الوحدات الدالة تتركب بدورها من بنيات جزئية تشكل عند إعادة دمجها بالبنية العامة للمتن بنيته العميقة، التي لا يمكن النفاذ إليها دون المرور بالبنية السطحية ومنه فإن هذه الأخيرة مندمجة ضمن رؤية شمولية.

وقد جعل الباحث محاور البنية السطحية تتمثل في: بنية الزمان والمكان، متاليات النص وبلاغة الغموض.

بنية الزمان⁽²⁾ تعني الإيقاع الشعري الذي انفجر في النص الشعري المعاصر بالمغرب من الرغبة الملحة في تحطيم نص شعري آخر وهو العمودي، بعد أن تحولت الأسس المادية للمجتمع عن وضعها القديم، وتجسد الطموح إلى التغيير والتحرر والابتكار مما استوجب الخروج على تقاليد وقوانين النص الشعري التقليدي، واستحداث نص شعري مضاد يريد لنفسه أن يستوعب شروط واقع انقطعت صلاته مع الماضي، ولذلك فإن القطيعة التي أعلنها الشعراء المعاصرون بالمغرب، متأثرين بالحركة الشعرية المعاصرة في المشرق، ولم تكن مجرد نزوة عابرة أو مجرد غي يقود جماعة متمردة تحتّم بالعصيان في مقبل عمرها، بل كانت علامة مضيئة للوعي بدواعي التغيير والتحول في زمن لم يعد يستسيغ القناعة والرضا فكان الخروج على البنية التقليدية للشعر العربي.

وناقش الباحث في بنية الزمان: بنية البيت الشعري، القافية والأوزان.

(1) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب - مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979

ص 39-40.

(2) المصدر السابق نفسه، ص45.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

فالبيت الشعري اهتم به العرب اهتماما خاصا، حتى أنهم أنزلوه منزلة أعلى من القصيدة كبنية متكاملة، ومنهم من جعل البيت الشعري مشابها لبيت البناء، كمثل ما أورده ابن رشيق في باب حد الشعر وبنيته فقال: والبيت من الشعر كالبيت من الأبنية: قراره الطبع، وسمكه الرواية، ودعائمه العلم، وبابه الدربة وساكنه المعنى،⁽¹⁾ ونجد النقاد العرب القدماء يكثرون الحديث عن البيت بهذا المفهوم المتجزئ.

أما بالنسبة لبنية البيت في المتن الشعري المعاصر بالمغرب يتميز بوقفة تحد من اندفاع الأدلة، وهذه الوقفة تتجسد بصمت أو بياض، فهما علامة نهاية البيت، لأن الوقفة في الأصل هي توقف ضروري للمتكلم لأخذ نفسه، وهي بالتالي ليست إلا ظاهرة فيزيولوجية خارجة عن النص، ولكنها بطبيعة الحال محملة بدلالة لغوية،⁽²⁾ وعلى هذا قن بنيس في بنية البيت الشعري ثلاثة قوانين هي: الوقفة الدلالية، الوقفة العروضية والوقفة المحددة بالبياض.

وفي القافية وجد الباحث ثلاثة قوانين تحكمها هي: وحدة القافية والروي، تزواج وتناوب القافية والتخلص نهائيا من القافية، إلا أن نازك الملائكة وقفت موقف المعارض للمحاولات الرامية للتخلص من القافية في النص الشعري المعاصر، فقالت: والحقيقة أن القافية ركن مهم في موسيقية الشعر الحر لأنها تحدث رنيناً وتثير في النفس أنغاما وأصداء وهي فوق ذلك فاصلة قوية واضحة بين الشطر والشطر، والشعر الحر أحوج ما يكون إلى الفواصل خاصة بعد أن أغرقوه في النثرية الباردة، ولذلك يؤسفنا أن نرى الناشئين متجهين اليوم إلى نبذ القافية في شعرهم الحر،⁽³⁾ فنازك تتعارض مع بنيس في قانون التخلص من القافية.

(1) ابن رشيق أبو الحسن القيرواني، العمدة، تح: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط4، 1972، ج1، ص121.

(2) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب - مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص52.

(3) نازك الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، منشورات دار الآداب، بيروت، 1962، ص163.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

وفي الأوزان خرج الشاعر المعاصر على النص الشعري التقليدي عندما اعتبر التفعيلة المفردة أساسا لبناء البيت الشعري، ولم يلتزم بالتساوي في التفعيلات بين الشطرين، والغرض من التحرر من تساوي الأَشْطَر هو البحث عن سبل محدثة لكسب حرية أقدر على تلبية شروط تبدل الحساسية الشعرية،⁽¹⁾ وطبع المتن الشعري المعاصر في المغرب بهذا وتشبث الشعراء بوحدة التفعيلة كأساس للبناء العروضي في شعرهم.

والدكتور عز الدين إسماعيل أكد على أن التفعيلة نابعة من طبيعة اللغة العربية بقوله: إذن فلم يكن أمام محاولة التجديد في إطار الموسيقى للقصيدة إلا أن تسلم بنظام التفعيلة هو النظام الذي تفرضه طبيعة هذه اللغة، ومن ثمّ كان الخروج على نظام البيت مشروعاً، ما دام النظام الأساسي والضروري قائماً وهو نظام التفعيلة.⁽²⁾ وقعد الباحثون لشعر التفعيلة قانونين: يستمد أولهما عناصر وجوده من اقتصار الشعراء على استعمال بحر شعري مفرد في القصيدة بكاملها، ويعتمد الشعراء في ثانيهما على المزج بين البحور المتعددة في النص الشعري الواحد.

أما بنية المكان فتنجلى في الجانب البصري الذي لم يكن النقاد يحفلون به على الرغم من أن المكان ذو دلالة لا يمكن اعتبارها هامشية، لكن النقاد المتأخرين التفتوا إلى المكان منذ القرنين السادس والسابع عند الشعراء المغاربة والأندلسيين، فقد كتب القضاعي أشعاراً على شكل مربعات وأورد الرندي صاحب النونية المشهورة في كتابه النقدي الوافي في نظم القوافي قصيدة له على شكل خاتم، وأبياتا على شكل مربع في باب القلب تقرأ عرضاً وطولاً، والشعراء المغاربة عرفوا بالتشجير حيث يأتي تشكيل المكان على شكل نخلة بصفة خاصة، إلا أن المتن الشعري المغربي المعاصر عندما حطم بنية الزمان التقليدية نتج عنه خروج عن

(1) ينظر: محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب - مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص77.

(2) عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضاياها، وظواهره الفنية والمعنوية، دار العودة، دار الثقافة، بيروت، ط2، 1972، ص85.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

بنية المكان في المتن التقليدي أيضا بطريقة متناسقة ومترابطة لأن تحطيم الزمان تحطيم للمكان في نفس الوقت. (1) القصيدة المعاصرة بالمغرب سعت في تركيبها إلى التحرر من إطار صرامة المقاييس وجمودها.

أما متتاليات النص (2) فهي مستوى آخر من تجليات البنية السطحية، يعكس وحدته نحوبا ودلاليا، ويقصد بالمتتالية الجملة كما هي عند شومسكي.

والجملة تتوفر على ترابطات فعلية واسمية، وقد تشمل المتتالية بيتا أو مقطعا أو نصا بكامله، وتتعدد المتتاليات داخل النص بتعدد الوحدات. (3) وقد وجد الباحث في المتن الشعري المعاصر بالمغرب متتاليتين هما: الزمن النحوي وبنية الضمير، وبنية الزمن النحوي تختلف عن بنية الزمن العروضي الذي يلتصق بالكلام الشعري كما تختلف عن بنية الزمن الفيزيائي والتاريخي.

والزمن النحوي يتم من خلال العلاقات التواردية (الصرفية) والترابطية (النظمية) وما توصل إليه الباحث من خلال عرض بعض نصوص الشعراء أن الفعل المضارع الدال على الحاضر يشكل أعلى نسبة في المتن ثم يليه الماضي. ووجد أن بنية الزمان الحاضر تعطي إمكانية لإدراك العالم المقدم من طرف الشاعر المرتبط بمرحلته التي يحيلها، وأما بنية الزمان الماضي فهي لا تنفي الحاضر، وإنما تستعين به لتفجيده.

وأما بنية الضمير فهي أصغر الوحدات اللغوية، وترافق الأسماء والأفعال والحروف، وتتكرر بأشكال متعددة، متصلة، مستترة ومنفصلة، (4) وتبين أن الشاعر المغربي المعاصر

(1) ينظر: محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص95-97-98.

(2) المصدر السابق نفسه، ص113.

(3) المصدر السابق نفسه، ص113.

(4) ينظر: محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص124.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

يوظف الضمير في الحضور أكثر من الغياب، وأنه يعطي الأسبقية للمفرد على الجمع، وأنه يتوجه نحو استعمال ضمير المتكلم.

وبلاغة الغموض⁽¹⁾ فهي الحد الثالث من تجليات البنية السطحية، وهي ناتجة عن انفجار لغة النص، وخروجها على القوانين المقيدة للغة اليومية العادية، ذلك أن اللغة الأدبية تتعارض مع لغة التواصل والاستهلاك،⁽²⁾ وقد تبوأ الغموض صدارة النقاشات النقدية منذ بداية الستينات.

ويرى الباحث ظاهرة الغموض أنها قادمة من المشرق العربي، بعد أن استقدمه المشرق من الشعر الأوربي،⁽³⁾ وعلى الرغم من أن الغموض يزيد في انفصال الشاعر عن جمهوره، إلا أن الشاعر المغربي المعاصر أبقى إلا أن يعمق هذا البعد الإيحائي. وقد جعل الباحث للغموض أربعة أبعاد هي:

1- البعد الدلالي⁽⁴⁾ ومعناه يفتح النص على أفق قابل لكل كتابة جديدة، حيث يتم القارئ نقصه، وفيه يبحث الشاعر عن الأدلة المتنافرة ليؤلف بين تناقضاتها استعارة معقدة تقوم على تحطيم العلاقات الدلالية داخل اللغة، معتمدا على الغرابة الصادرة عن الربط غير الاعتيادي بين المدلولات المتعددة، وقد يستبعد الشاعر استعمال أدوات الربط بين المتتاليات مما يوحي بثنتيت الصور، وقد يلجأ إلى تشكيل قصيدته من عدة مقاطع مرقمة أو معنونة، وكل مقطع هو مرحلة من مراحل التركيب الكامل للنص الشعري، وليس المقطع إلا تكثيفا لطاقة شعورية أو دفقة فكرية تتدمج مع المقاطع الأخرى لتشكل جميعها عالما شعريا متكاملا، ولكن الشاعر قد يجمع ما تنافر من المقاطع ظاهريا فيلتقي القارئ مع خروج على

(1) المصدر السابق نفسه، ص 157.

(2) محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة - دراسة في النقد، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001، ص 279-280

(3) ينظر: محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب - مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط 1، 1979، ص 157.

(4) المصدر السابق نفسه، ص 167.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

التقليد دون سابق تحذير وقد يدخل التركيب الدرامي للقصيدة وقد يؤدي تقسيم النص إلى مقاطع فقدان القصيدة وحدتها، إذ قد لا يوجد رابط لغوي أو نحوي يربط بين هذه المقاطع.⁽¹⁾ ومن هذا يتضح حجم الوضعية التي كان يعيشها القارئ مع النص المعاصر الذي أراد لنفسه اختراق الحواجز التقليدية وتخطيط مشروع مستقبلي للكتابة الشعرية.

2- البعد النحوي⁽²⁾ ويعني به الباحث التحطيم المقصود للقواعد النحوية (النظمية والصرفية) وذلك عبر ثلاثة مظاهر هي: استعمال الضمير، وتسكين حرف الروي، واستعمال التقديم والتأخير، ففي استعمال الضمير حطم الشعراء قانون المرجع في الضمير الذي مهمته دلالة الضمير على معين وأرادوا للضمير أن يبقى مبهما لا يدل على مسمى، لأنه يعود على مجهول وفي تسكين حرف الروي تابع الشعراء المغاربة المعاصرون العروضيين العرب القدماء في جعل حرف الروي ساكنا في أغلب أشعارهم، رغبة منهم في الخضوع لواقع اللغة اليومية التي تتميز بتسكين أواخر الكلمات، أما بالنسبة إلى التقديم والتأخير فقد حن إليه الشعراء المعاصرون ليستغلوا بعدا نحويا آخر، وليس التقديم والتأخير اللغويان إلا إعادة ترتيب مواقع الأدلة حسب قوانين لا يقبلها النثر،⁽³⁾ إنَّ هذا البعد هو واحد من بين السبل المؤدية إلى خلق بلاغة الغموض في المتن الشعري المعاصر بالمغرب.

3- البعد الإيقاعي⁽⁴⁾ وبواسطته نقل الشاعر النص الشعري من مدار الاستهلاك إلى مدار مشحون بتلوينات صوتية خاضعة لنظام إيقاعي متميز، وعلى هذا فإنَّ الشاعر يحطم القيم الموروثة على صعيد الوقفة الإيقاعية، ويؤسس قيما تصدم وعي القارئ الذي تجذرت في أعماقه قوانين البيت الشعري التقليدي، وهذا ما يجعل نفورا متبادلا بين النص والقارئ؛

(1) ينظر: محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص 167-180.

(2) المصدر السابق نفسه، ص181.

(3) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص ص181-186.

(4) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص 188.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

فالقارئ التقليدي ينفر من النصّ الحدائى والنص الحدائى ينفر من الأذن التقليدية، فيحس كلّ منهما بغرابة تجاه الآخر وتحمل القطيعة بينهما محل التواصل.⁽¹⁾ وهذا التحطيم المقصود من طرف الشاعر للمفهوم التقليدي للبيت الشعري يؤدي حتما إلى تصعيد بلاغة الغموض.

4- البعد المعرفي⁽²⁾ يتمثل في شحن النصّ الشعري بمعرفة إنسانية عن طريق تعميق اللقاء مع الحضارات الإنسانية دون الاكتفاء بمصدر واحد من أوروبا، ومزج هذه المعرفة بالرموز والأساطير والموروث الثقافي بشعرهم، إضافة إلى اعتماد الثقافة المحلية عن طريق توظيف الحكايات والخرافات والأحداث التاريخية والتراث، وقد حاول بعض الشعراء مساعدة القراء على فك رموز النصّ الشعري فلبجؤوا إلى شرح رموزهم في هوامش القصائد، لكن النقد يرى في هذا قيادا على حرية التخيل عند القارئ.⁽³⁾ ومن هذا نجد أن قراءة الشعر المعاصر تتطلب قارئاً معاصراً يتمتع بمؤهلات ثقافية جادة حتى يتفاعل مع النصّ الشعري.

ولقد أورد الباحث أيضا عناصر التشويش في بلاغة الغموض ويقصد بها الأخطاء اللإرادية التي تقتحم على النصّ صفاءه فتحول مجرى التواصل وتبتر الإيحاء فتزيد النصّ غموضا وتضاعف نفور القارئ من النصّ.⁽⁴⁾ وتتجلى في ثلاثة: الخطأ المطبعي، الخطأ النحوي، والخطأ الإيقاعي.

لقد حاول الباحث في هذا الفصل من أن ينصت للخطوات التي نصح بها لوسيان غولدمان لكل من يريد أن يسير على هدى المنهج البنيوي التكويني، فانكب على تعيين البنيات الدالة للمتن الذي درسه والآن سيواصل عمله برصد المحاور الرئيسية للبنية العميقة.

2- تجليات البنية العميقة:

(1) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 188-189.

(2) المصدر السابق نفسه، ص 189.

(3) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص 189-193.

(4) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص 193.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

إنّ البنية العميقة في تحليل محمد بنيس ليست سوى إدماج البنيات الدالة السطحية التي حاول تتبع تجلياتها في الفصل الأوّل في بنية أكثر اتساعاً. فالدراسة الإيجابية كما يقول غولدمان لكامل السلوك الإنساني تكمن بالضبط في المجهود الذي يبذل لجعل دلالاته قابلة للفهم من خلال توضيح الخصائص العامة لبنية جزئية لا يمكن أن تفهم بدورها إلا في الحدود التي تدمج هي نفسها، في بنية أكثر اتساعاً حيث أن عملها يمكن بمفرده أن يبين تكوينها، إلى جانب أغلب القضايا التي يطرحها الباحث في بداية عمله،⁽¹⁾ وعملية إدماج البنية الجزئية التي اصطلح عليها الباحث بتسمية البنية السطحية في بنية أعم وأشمل مساعدة على فهم حركية المتن الشعري، وهذه البنية العميقة تتحول من تلقاء نفسها من مجال الفهم إلى مجال التفسير، فتحتاج بدورها إلى بنيات أوسع تمكنا من الوصول إلى النواة.

وعلى هذا جعل الباحث محاور البنية العميقة تتشكل من ثلاثة قوانين هي: التجريب، السقوط والانتظار، الغرابة.⁽²⁾ وهذه القوانين تلتقي في المتن المدروس متمازجة وملتحمة، يحكمها التناسق والتفاعل، أولها مستخلص من بنية الزمان والمكان، وثانيهما من بنية المتاليات أما ثالثهما من بنية بلاغة الغموض.

ويقصد الباحث بالتجريب⁽³⁾ الوضع الخاص الذي عاشته القصيدة المعاصرة بالمغرب منذ البدايات حتى مرحلة الامتداد حيث انتهج الشعراء سلوك التردد مرة، والقطيعة مع مكتسبات بحثهم مرة أخرى، والعودة إلى ما أهملوه مرة ثالثة، وهذا السلوك جعل قصائدهم تظهر وكأنها دون مستقر.

(1) المصدر السابق نفسه، ص 207.

(2) ينظر: محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب-مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص 208.

(3) المصدر السابق نفسه، نفس الصفحة.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

وقد تجلّى التجريب في الاقتصار على بعض الأوزان، وفي خروج أصحابها على اجتهادات القدماء، وفي جزئية هذا الخروج، وفي غياب الهاجس المستقبلي الباعث على بحث إمكانية خلق بنية إيقاعية متميزة للقصيدة المغربية المعاصرة، وفي غياب التناسق والتجانس بين مواقفهم بصدد الخروج عن بنية الإيقاع التقليدية.⁽¹⁾

ومن هنا تتحول هذه البنية الظاهرية في تركيب بنية الإيقاع الخاصة بالنص الشعري المعاصر بالمغرب إلى مجرد غطاء يخفي من ورائه بلبلة تؤدي حتماً إلى عدم توضيح المقاييس أو المواقف بشأن التجديد في مجال الإيقاع.

أما السقوط⁽²⁾ فهو متعدد الأساليب والمجالات، وليس التركيز على السقوط في هذه المتتالية للمتن الشعري المعاصر بالمغرب ككل إلا انعكاساً للقراءة الخاصة التي قام بها الشعراء لواقعهم الذاتي وواقعهم الموضوعي وأساليب السقوط تتمحور حول الموت، الحزن، الهزيمة، اليأس والغربة. كما يتجلّى الانتظار في التمحور حول البطل الفرد كالمهدي بن تومرت، المهدي بن بركة وعبد الكريم الخطابي وغيرهم والبطل الجمع كالأطفال الأمل بالمستقبل.

أما الغرابة⁽³⁾ فتعني نزوع الشاعر نحو إدخال قيم تعبيرية في النصّ تبتعد عن المألوف، سواء أعلق الأمر بتقاليد البلاغة العربية القديمة، أم بتقاليد البلاغة الرومانسية في الشعر الحديث، ولم يسع الشعراء المعاصرون بالمغرب إلى الغموض وإنما أرادوا الدخول إلى وطن الغرابة، سعوا إليه وهم رافضون لما ورثوه، ورافضون لاجتراره قصد إنشاء قيم تعبيرية أخرى مستقاة من أرض لا عهد للناس بها، فوقع الانفصال بينهم وبين القراء.

لقد شملت قراءة الباحث لتجليات البنية السطحية ومحاور البنية العميقة ثلاثة مجالات، واستنتج من قراءته للبنية العميقة أن القانون العام لبنية الزمان والمكان هو

(1) ينظر: المصدر السابق نفسه، ص ص 209-213.

(2) المصدر السابق نفسه، ص 215.

(3) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب-مقاربة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط 1، 1979، ص 231.

الفصل الثاني: _____ تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

التجريب، ولمتتاليات النصّ هو السقوط والانتظار، وبلاغة الغموض هو الغرابة. والتأمل في هذه القوانين العامة يدل على الروابط التي تجمع بينهما. واستخلص أن كلّ من السقوط والانتظار المتواجدة في المتن يحوران رؤية الشعراء للعالم، كواقع خارج النص. وخارج ما يحيط به من المجال الثقافي، ومجيئها على هذا القدر من الوضوح لا يعني أن البنيتين الأخرتين لا تتوافران على نفس الرؤية، ولكن مجال الرؤية هو الذي يختلف من بنية إلى بنية، وهو الذي يجعلها تتلبس بحالات قد تتراءى لنا منذ الوهلة الأولى، بعيدة عن السقوط والانتظار كما تجلى في الواقع العيني.

II- اختراق البنية الثقافية:

وهو الباب الثاني من الكتاب حيث أدخل الباحث المتن الشعري في بنية أوسع لأنه اعتبر المرحلة الأولى ليست نهائية في ذاتها بل هي مجرد كشف أولي عن القوانين الملازمة للبنية اللغوية التي تعطي اللغة بعدها الإبداعي، وقام بقراءة خارجية للمتن بعدما حدد بعض قوانينها الداخلية وركز في هذا الباب على البنية الثقافية ومنها المجال الشعري التي حكمت وجود ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب.

وشملت هذه القراءة ثلاثة مجالات هي: النص الغائب، مراحل التكوين المتن الشعري المعاصر بالمغرب والحدود الخمسة للمجال الشعري. وتعتبر هذه القراءة انتقال من حال الفهم إلى حال التفسير.

1- النص الغائب:

هو الذاكرة الشعرية التي يلتقي فيها القديم بالحديث، والعلمي بالأدبي، والذاتي بالموضوعي في النص الشعري الذي هو عبارة عن شبكة تلتقي فيها عدة نصوص مما يجعل قراءة النص بعيدة عن النظرة الأحادية التي تتعامل معه بوعي ساذج لا يقدر على الكشف عن خباياه.⁽¹⁾ وفي بيان نوعية قراءة الشعراء المغاربة للنص الغائب في شعرهم يستعمل الباحث ثلاثة معايير تتخذ صبغة قوانين هي: الاجترار، الامتصاص والحوار. وإذا كان الاجترار قد ساد في عصور الانحطاط حيث تعامل الشعراء مع النص الغائب بوعي سكوني واتخذوه نموذجا جامدا فإن الامتصاص مرحلة أعلى لأنه ينطلق من الإقرار بأهمية النص الغائب فيتعامل معه كحركة وتحول يساهمان في استمراره كجوهر قابل للتجدد، وهذا يعني أن الامتصاص يعيد صياغة النص الغائب وفق متطلبات تاريخية لم يكن يعيشها في المرحلة التي كتب فيها وبذلك يحيا النص الغائب، أما الحوار فهو أعلى مراحل قراءة النص

⁽¹⁾ ينظر: محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص251-252.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

الغائب، لأن الشاعر لا يتأمل النص الغائب وإنما يغيره.⁽¹⁾ وعلى هذا فالنص الغائب هو الذي تعيد النصوص كتابته وقراءته؛ أي مجموع النصوص المستترة التي يحولها النص الحاضر وتعمل بشكل باطني عضوي على تحقق هذا النص وتشكل دلالاته.

ونجد في هذا المجال جوليا كريستيفا التي قالت: أن كل نص هو عبارة عن لوحة فسيفسائية من الاقتباسات، وكل نص هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى.⁽²⁾ إلا أنها اصطاحت على هذه الظاهرة بمصطلح التناص.

كذلك نجد طروحات الناقد الفرنسي جيرار جنيت الذي لا يهتم بالنص إلا من حيث تعاليه النصي، أي معرفة كل ما يجعله في علاقة خفية أو جلية مع غيره من النصوص فالتناص الفعلي عنده هو: الوجود الفعلي لنص في نص آخر.⁽³⁾ ومما تقدم يمكن القول بأن النص الغائب هو نفسه التناص حالياً.

ويضع بنيس للنص الغائب مرجعيات عدة منها:

أ- الذاكرة الشعرية وهي أهم مصدر ثقافي عمل في تركيب النص الشعري المعاصر بالمغرب ولعل أهم المتون التي انعكست في المتن الشعري هي: المتن الشعري العربي المعاصر باعتباره الأسبق إلى الحداثة الشعرية فقد قرأ الشعراء المغاربة شعر السياب أدونيس، البياتي، درويش وغيرهم من الشعراء المعاصرين فتسللت نصوصهم الغائبة إلى النصوص التي كتبها الشعراء المغاربة.⁽⁴⁾ وهذا لا يعني استيلاء النص الشعري المغربي المعاصر تجاه النص الأساسي. بل هو بعث له.

(1) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب - مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص253.

(2) جمال مباركي، التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، دار هومه، د.ط، د.ت، ص38.

(3) ينظر: جيرار جنيت، مدخل لجامع النص، تر: عبد الرحمن أيوب، دار توبقال، المغرب، ط2، 1986، ص90.

(4) ينظر: محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب - مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص255.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

ب- أما المتن الثاني فهو الشعر العربي القديم الذي مارس هو الآخر تأثيره على الشعراء المغاربة الذين نجد في أشعارهم صدى للشعراء الجاهليين، الأمويين، العباسيين والأندلسيين بنسب مختلفة.

ج- ونجد كذلك المتن الشعري الأوربي إلا أن تأثيره على الشعراء المغاربة المعاصرين محدود، لأنه خاضع للمصادفة على الرغم من أن هناك بعض الشعراء أتقنوا اللغة الفرنسية أو الإسبانية أو اللاتينية معا.

د- أما المتن الأخير فهو الشعر المغربي الذي يضم جملة من المتون الجزئية يرجع بعضها إلى ما قبل الإسلام ويلتزم بعضها باللهجات المحلية، إلا أن تأثيره محدود بسبب رغبة الشاعر المغربي المعاصر في كتابة قصيدة معاصرة بالمفهوم الأوربي.

هـ- كذلك نجد الشاعر المغربي المعاصر نهل من مختلف الحضارات فمثلا الحضارة العربية حيث وظف في أشعاره القرآن الكريم، التاريخ، الموروث القصصي والأسطوري، المعارف العلمية والفلسفية وغيرها، أما الحضارة المغربية تتجلى في الأحداث والبطولات التاريخية وبالنسبة للحضارة الأوربية فقد تميزت الأشعار بمبادئ الفكر الوجودي والفكر الاشتراكي، الأول أشاعته الترجمات التي نشرتها دار ومجلة الآداب في بيروت حيث نشرت مفاهيم القلق، السأم، الضياع والغربة من خلال كتابات سارتر وكامو وغيرهم، ولم يصمت صوت الفكر الوجودي إلا بعد هزيمة 1967 وهنا حل محله الفكر الاشتراكي الذي ركز على أسباب الاستغلال ودينامية الواقع.⁽¹⁾

إن حصر النصّ الغائب بشكل نظري عام ومن خلال أهم مصادره يدلنا على ما تمكن الشاعر المغربي المعاصر من قراءته وإعادة كتابته في نصه الشعري الذي يتميز به عن غيره من النصوص السابقة عليه أو المعاصرة له، كما أنه يدلنا على هذا الاهتمام

⁽¹⁾ ينظر: محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص258-259-260.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

الثقافي الواسع الذي خرج عن المؤلف والمعتاد في التكوين الثقافي العام، والشعري منه بنوع خاص، وبالنسبة للشاعر المغربي فقد أدرك أن النص المعاصر لا يتم له تحقيق هذه الصفة إلا إذا تفتح على العطاء الإنساني وأحاط بمعارف العصر دون أن يتناسى الموروث القديم وطنيا، قوميا و إنسانيا.

2- مراحل تكوين بنية المتن:

حاول الباحث في هذا المحور الجمع بين القراءة التزامنية والقراءة التطورية وهذه المصطلحات هي المستعملة أساسا في الدراسات اللسانية التزامنية (الآنية) تعني تقدير الأشياء من وجهة نظر محددة بنقطة زمنية معينة، والآنية يقابلها مفهوم التطورية وهي المنهج الذي تدرس به ظاهرة لغوية ما عبر تطورها التاريخي،⁽¹⁾ واستعمل الباحث هاتين القراءتين لإدراك مجمل الملابس المحيطة بالمتن الشعري المغربي المعاصر، إذ أن إمكانات القراءة التطورية لتكوين بنية المتن الذي درسه قد تساعده ولو بحدود ضيقة على تلمس السبل الفاعلة في البحث عن جوهر هذه الظاهرة الشعرية،⁽²⁾ ورأى الباحث أن جميع الشعراء المغاربة المجددين قد عادوا إلى المتن العربي في المشرق قديمه، وحديثه ومعاصره بدل الانضواء داخل المتن الشعري المغربي وتم هذا عن طريق الكتب، المجالات والصحف، وعن طريق البعثات الثقافية المتبادلة بين المشرق والمغرب. فكانت عملية العودة هذه مشروعة، أما اتصالهم بالغرب فكان عن طريق المشرق حتى الذين تمكنوا من اللغات الأوروبية كعبد المجيد بن جلون بالنسبة للإنجليزية، ومحمد السرغيني وصبري أحمد بالنسبة للفرنسية، ومحمد خمار وعبد الكريم الطبال ومحمد الميموني بالنسبة للإسبانية. ولعلّ هذه الوضعية هي التي جعلت الشعر المغربي حديثه ومعاصره يبقى مجرد ظل للتجربة الشعرية

(1) ينظر: عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، دار الكتب الجديدة المتحدة، ط5، 2006، ص101.

(2) ينظر: محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب- مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص283.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

المشرقية ومن بين الأسباب التي أدت إلى ترك الشعراء المغاربة المحدثين والمعاصرين مجرد قارئین يمتصون المتن الشعر العربي الحديث والمعاصر معا.

ولكن الباحث يستدرك على هذا التصريح الخطير فيرى أنه لا يصدق إلا على شعر الستينيات، وغياب التعريف النظري للشعر نتيجة كون الخمسينيات في المغرب مرحلة تحولات ومجابهة ضد الاستعمار، وبعد أن تحقق الاستقلال بدأ الشعور بالخصوصية والتفرد.

3- الحدود الخمسة للمجال الشعري:

يقيم محمد بنيس للشعر حدودا يحصيها في خمس نقاط هي:

- الحد الأول وهو الظهور المتأخر للشعر المعاصر في المغرب حيث انبثقت حركة الشعر العربي المعاصر في أول أمرها بالمشرق بعد الحرب العالمية الثانية. وفي هذا الوقت كان المغرب ما يزال يقف على عتبة الحركة الرومانسية، ولم تهب رياح الشعر الحر إلا بعد عام 1957 على شكل تفتيت للإيقاع تبعه تغيير في قوانين البعد البصري للنص الشعري،⁽¹⁾ لقد عرفت هذه المرحلة نموا مضطهدا للشعر الحر.

وهذا الظهور المتأخر أنتج عقدة نقص تنص على أن كل قصيدة ترد من المشرق هي قصيدة ذات قيمة فنية عالية وأن كل قصيدة مغربية معاصرة هي أدنى مستوى، وأخذ المغاربة على المشاركة عدم اهتمامهم بالنتائج الثقافية المغربية وعدم تعريفهم به والواقع أن التقصير لا نراه من المشاركة إزاء إنتاج إخوانهم المغاربة، وإنما من القوانين الجمركية بين الحدود الإقليمية التي تعامل الكتاب كسلعة تجارية، وتمنع وصول الكتاب المغربي إلى المشرق إضافة إلى أن المغرب قبل السبعينيات وبعد أن ترسخت في المغرب الأجناس الأدبية وأثمرت المثاقفة مع الغرب أبدع المغرب نتاجا ثقافيا أصبح فيه رائدا للمشرق ذاته في الفكر عبد الله العروي وغيره، الفلسفة محمد عابد الجابري، الرواية عز الدين التازي، المسرح

(1) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب - مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص307.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

عبد الكريم برشيد والطيب الصديقي، النقد الأدبي محمد برادة، نجيب العوفي، عبد الفتاح كيليطو، محمد مفتاح، الشعر الحر عبد الكريم طبال. (1) إن الارتباط بالتجربة الشعرية العربية كان واقعا ملموسا لأنه لم يكن ممكنا لشعراء المغرب المعاصرين في ظل الشروط التاريخية والثقافية التي عاشوها إلا أن يرتبطوا بالتجربة الشعرية المشرقية.

- الحد الثاني هو أن حركة الشعر المغربي المعاصر هي حركة أفراد وليست حركة مدرسة والسبب فيما يراه الباحث هو تلمذة المغرب للمشرق، وأن الشعر المعاصر في المشرق نفسه كان أيضا حركة أفراد لا مدرسة، فمن المعروف أن الصراع كان دائرا بين نازك الملائكة وبدر شاكر السياب حول ريادة الشعر الحر في العراق، وأن صلاح عبد الصبور وأحمد عبد المعطي حجازي كانا منفردين في مصر، وأن أودنيس كان منفردا في لبنان، وكذلك كانت الحال في المغرب.

- الحد الثالث هو الضعف في كم الشعر المغربي المعاصر وهذا أمر واضح نتيجة استقراء ثماني صحف نشرت نصوصا شعرية خارج الدواوين، وبدل هذا على أن الشعر ما يزال هوية لدى الشعراء وأنه لم يصبح هما واحترافا بعد، ولعل هذه الوضعية الصعبة بالنسبة للنشر في المغرب أسهمت أيضا في ضعف الكم الشعري المغربي المعاصر.

- الحد الرابع وهو ضعف النقد وضآلته، وعدم قيامه بدوره الفعال في تنشيط الحركة الشعرية المعاصرة في المغرب والتظير لها، فقد كان مجرد عرض صحفي سريع أو تقليدي.

- الحد الخامس وهو التردد بين اليمين واليسار بسبب التبدلات الخطيرة في الوعي الاجتماعي، الذي حدث بعد استقلال المغرب، فقد خرجت بعض القصاصد على السلطة البلاغية، وتجمع شعراؤها حول مجلة أقلام المغربية التي يمكن اعتبارها لعبت في الحركة الشعرية المعاصرة المغربية دورا شبيها بالدور الذي لعبته مجلة الآداب البيروتية بالنسبة

(1) محمد عزام، تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحديثة - دراسة في النقد، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2001، ص 284، 285.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

لحركة الشعر الحر، كما نشير إلى ما كانت تنشره جريدة العلم في ملحقها الثقافي. وهذا من المفارقات؛ إذ جريدة العلم كانت لسان حال حزب الاستقلال الوطني الليبرالي، إلا أن المفارقة تزول عندما نعلم أن الحزب في تلك الفترة (1964-1975) كان في صف المعارضة خارج السلطة.

لقد حاول الباحث في هذا الباب البحث عن البنية العامة وتفسير البنية الداخلية للمتن عن طريق المجال الثقافي الذي رافق بدايات وامتداد الظاهرة الشعرية بالمغرب، وإذا كانت جغرافية التحول تمده بمعلومات عن تحولات جغرافية للمحيط الثقافي، وتحولات اجتماعية تمس المجال الثقافي فإن الحدود الخمسة توضح له التدخلات الموجودة بين البنية الداخلية والخارجية للمتن.

III- المجال الاجتماعي والتاريخي:

لقد قلنا سابقاً أن البنية الداخلية للمتن ليست سوى فهمها في حاجة لتفسير، وقد استعان الباحث بالمجال الثقافي لكتنه رأى أنه تفسير نسبي وقاصر على الإحاطة بكافة الأسباب الظاهرة المدروسة وللوصول إلى جوهرها لجأ إلى المجال الاجتماعي والتاريخي.

1- قضايا نظرية:

هذا المحور ذو طبيعة نظرية بحتة تتعلق بجملة من القضايا المتصلة بالقراءة الاجتماعية والتاريخية في المتن أوردتها الباحث، نوجزها فيما يلي:

- المنهج البنيوي التكويني يلتقي مع الاجتهادات الأخرى داخل المنهج الماركسي في نقطة أساسية هي أنه يبحث داخل الأعمال عن رسوم أو حجج ذات علاقة بالواقع الاجتماعي والنظري، ويسعى إلى فهم الظاهرة الموجودة داخل هذه الأعمال من خلال هذه العلاقة.
- الباحث اتخذ المنهج البنيوي التكويني كمنهج يرشده في المتن ويجعله يقف على عتبة الدراسة الاجتماعية للأدب بمفهومها الجدلي التاريخي في فك ألبان البنية للمتن، أما عند تعرضه للعلاقة الموجودة بين العالم الشعري والعالم الواقعي يكون أمام الدراسة الاجتماعية.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

- اعتماد الباحث المنهج الاجتماعي والتاريخي طرح عليه ضرورة اعتبار العلاقة القائمة بين العالم الشعري والأدبي عامة، وبين العالم الاجتماعي والتاريخي، وأهم ما يميز هذا المنهج أيضا هو نقده العنيف لنظرية الإلهام، فالمنهج الاجتماعي والتاريخي يعتمد على النقد المرتبط بالتحليل الموضوعي لطبيعة العمل الأدبي التي هي اجتماعية في نهاية التحليل.

- الحدود الفاصلة بين المنهج البنوي التكويني والمناهج المثالية الأخرى لا تنحصر في نقد المفهوم القائل بنظرية الإلهام، ولكنها تتجسد في اعتبار الإبداع تعبيرا عن فئة اجتماعية محددة اجتماعيا وتاريخيا.

2- المجال الاجتماعي والتاريخي للمتن:

إنّ هذا المجال يختص بالنظر في الواقعين الاجتماعي والتاريخي للمغرب الذي يؤطر الظاهرة الشعرية، لأن الواقع المغربي خلال الفترة المدروسة هو مآل تفسير جميع ما سبق بيانه، وبالنسبة لهذا الواقع يعتمد محمد بنيس على تقارير رسمية وطنية ليبين الوضعية الاجتماعية المزرية التي عاشها المغرب في الستينيات وبدء السبعينيات اجتماعيا، صحيا وتعليميا مما أدى إلى تحركات احتجاجية جماهيرية تمثلت في اضطرابات منقطعة وأخرى مستمرة، وكذلك إلى أحداث دامية في المواجهة بين قوى التغيير وقوى الاستغلال، والمتن الذي جعله الباحث مجالا لدراسته والمكتوب من طرف جماعة من الشعراء المتجانسة في رؤيتها للعالم، ألزمه على النظر إلى الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها هؤلاء الشعراء ووجد أنهم ينتمون إلى نفس الموقع الاجتماعي، وهو موقع الطبقة البرجوازية الصغيرة التي كان لها دورا فاعلا في الصراع الاجتماعي بالمغرب، وقد سعت هذه الطبقة إلى تمرير خطابها عبر القنوات الأكثر شيوعا: كالإعلام والتعليم.

وهي أقرب إلى وضعية الطبقة الكادحة للاهتمام بثقافة الشعب من أجل صنع التغيير، وتحويل مجرى التاريخ، وعدم تركها لنظام حتى يدجنها.

3- بين المتن والواقع:

بعد أن وصف الباحث الواقع المغربي اجتماعيا، ثقافيا وتاريخيا في الفترة المدروسة، عمل على رصد حدود الاتصال بين المتن والواقع مستنتجا أن:

- هناك علاقة وطيدة تربط بين بنية المتن وبين الواقع الاجتماعي والتاريخي للبرجوازية الصغيرة بالمغرب، ولكن هذه العلاقة لا تصدق على الواقع المغربي ككل، لأن أدبيات البرجوازية الصغيرة هي التي عمقت الوعي ببنية السقوط والانتظار ودعت للتعبير عن آلام وآمال الجماهير الشعبية، وبالنسبة للنص الغائب لاحظ الباحث أن الشاعر المغربي المعاصر غالبا ما يقوم بنسف النص المضمن أو المستلهم داخل السياق معيدا شحنه بمحتوى مغاير للتححرر من أبواق النظام وأنصار التبعية والانقياد لشروط المركز الاحتكاري.

- ظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب مرت بمرحلتين، أولهما هي مرحلة البدايات تمثلت في تفجير الوضعية الشعرية المتأزمة التي كان يعرفها المغرب في نهاية الخمسينيات وبداية الستينيات، ولعبت هذه المرحلة دورا في مواجهة النص الشعري السائد الذي طالما عطل الفاعلية الشعرية من ناحية، والوعي التاريخي من ناحية ثانية، والإبداع الخلاق من ناحية ثالثة، ولم تكن هذه الظاهرة تعبيراً عن ذاتية نرجسية ولكنها تعبير عن وعي نوعي بدأ يتسرب إلى أعماق هؤلاء الشعراء نتيجة الظروف الاجتماعية والتاريخية التي يحيون فيها ونتيجة الظروف الثقافية والشعرية، وهذه الظاهرة لا تهدف إلى تحطيم الأشكال العروضية كما ظن بعض النقاد والشعراء، بل هي إعادة صياغة للعالم داخل الشعر، وللشعر صيغة متكاملة لا تعرف الفصل بين ما هو عروضي ونحوي، صرفي، نظمي، وما هو بلاغي، لأن هذه المستويات هي المبلورة جميعا للرؤية الخاصة للعالم، أما الثانية فهي مرحلة الامتداد التي اتسمت بالدخول في طرح إشكالية هذه الظاهرة وفي مقدمة القضايا المطروحة إشكالية الوعي الشعري والاجتماعي والتاريخي وما صاحبه من تكرار وقصور، وهو ما سمي فيما بعد بأزمة الشعر المعاصر في المغرب.

من خلال ما تقدم نجد محمد بنيس مستوعبا لخطوات المنهج البنوي التكويني ومفاهيمه حيث قال: لقد توصلت من خلال قراءتي المعتمدة على البحث عن البنيات

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

الجزئية، القوانين والبنىات العامة الدالة داخل المتن وخارجه مستقيدا في ذلك من الإحصائيات والجداول والخطاطات وهي التحليل الملموس للواقع داخل المتن وخارجه إلى ضبط بنية عامة دالة سميتها بنية السقوط والانتظار، تتسحب على الكل مثلما تتسحب على الجزء، بعد أن قمت بصب الجزء في الكل، والكل في الجزء.⁽¹⁾ وهذا ما أكدته البنيوية التكوينية.

أما المفهوم الذي اتضح جلية في دراسة محمد بنيس فهو مفهومي الفهم والتفسير اللذين أقر بهما لوسيان غولدمان كما وجدنا سابقا، لذلك قسم بنيس دراسته - كما أسلفنا - إلى ثلاثة أقسام: يتوخى أحدهما فهم النص من الداخل، لبنية المتن حيث تتفاعل العناصر المختلفة لتقدم لوحة متكاملة ومنطقا داخليا خاصا يوحد العمل الإبداعي ويربط مفاصله، ويتحرك القسمين الآخرين في اتجاه تفسيري منطلقا من البنيات التي تم الكشف عنها أثناء الدراسة الداخلية للنص على أساس أن هذه البنيات لا تجد لها تفسيرا إلا فيما يتصل بالخارج للعمل الإبداعي، ولهذا وجدنا محمد بنيس اقتصر في مرحلة الفهم على النصوص وحدها دون إقحام لعنصر خارجي في دراستها، ولكنه سعى - إبان مرحلة التفسير - إلى استجلاء العناصر الثقافية التي يمكن أن تفسر بنيات المتن المدروس في ضوءها مع رد كل تلك المجالات إلى البنية الأعم والأشمل؛ بنية الواقع الاجتماعي والتاريخي للمغرب خلال الفترة المدروسة مما وحد العلاقة الجدلية الموحدة بين المتن والواقع أو بين الفهم والتفسير، وهذا ما أكده غولدمان: إن عمليتي الفهم والتفسير ليستا عمليتين منفصلتين بل عملية واحدة مركبة تتربط بمتآزرات مختلفة،⁽²⁾ أي أنهما - إذا - عمليتين متكاملتين.

لم يقتصر محمد بنيس على مفهومي الفهم والتفسير بل نجده مدركا أيضا لمفهوم رؤية العالم حيث انطلق في بحثه من فرضية أولها اهتماما بالغا وهي المتمثلة في اعتبار

(1) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب - مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص398.

(2) جابر عصفور، نظريات معاصرة، مكتبة الأسرة، د.ط، د.ت، ص130.

الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

المتن الشعري المعاصر بالمغرب إنجازا إجماعيا، ولم يكذب التحليل الملموس صدق هذه الفرضية بل أكدها ورسخها. ونجد محمد بنيس في قوله هذا يؤكد هذا المفهوم: إن هذه الظاهرة الشعرية المعاصرة بالمغرب تجمع بين هؤلاء الشعراء - الذين درسهم - كما تجمع بين تجربتهم الشعرية وتوحيدها في نسق متجانس ومتكامل (...). إن علاقة الشاعر المجرّد بالشعراء الآخرين ممن يلتقي معهم في قوانين الكتابة، نابعة في الأساس من الاقتناع الجماعي بالاتجاه الشعري ككل، فهو الذي يؤلف بينهم وهو الذي ينفي عن هذه الظاهرة صيغة الفردية.⁽¹⁾ بالإضافة إلى أن هؤلاء الشعراء كما قلنا سابقا ينتمون إلى نفس الطبقة الاجتماعية.

وهناك أيضا بعض المفاهيم التي لم يشر إليها محمد بنيس بصريح العبارة إلا أن القارئ يستطيع استدراكها وهي متكاملة مع مفهوم رؤية العالم، وهذه المفاهيم هي: مفهوم الوعي القائم والوعي الممكن، مفهوم التماسك والشمولية؛ فالوعي القائم نجده مرتبطا أساسا بالمشاكل التي يعاني منها هؤلاء الشعراء، فهو حصيلة حواجز وتحريفات متعددة واجهتهم وهذا ما أكده الواقع الاجتماعي المغربي لهذه الطبقة البرجوازية الصغيرة، أما الوعي الممكن هو إمكانية مرتبطة بزمن المستقبل ووجدنا هذه الطبقة المذكورة أخيرا تحاول بناء مستقبلها بعيدا عن الطبقة الكادحة وهذا الوعي حقق أقصى درجة من التلاحم والتماسك وإلا لما استحال وجود رؤية للعالم.

أما الشمولية فقد وجدنا الباحث قد درس الظاهرة الشعرية ملما ومحيطا بجميع جوانبها.

أما فيما يخص مفهوم البنية الدالة نجد محمد بنيس يلح على الطابع الجماعي للإبداع الذي درسه، وعلى أن النصوص التي أبدعها الشعراء تشكل متنا موحدا ذا بنية

(1) محمد بنيس، ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب - مقارنة بنيوية تكوينية، دار العودة، بيروت، ط1، 1979، ص338.

الفصل الثاني: _____ تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال

جماعية واحدة، نظرا لتشابه الظروف والمقدمات التي ساهمت في تشكيل معالمه، فقد رأى أن بنية السقوط والانتظار تشمل كلّ المتن الذي أبدع في تلك المرحلة. وما يؤخذ على محمد بنيس أننا وجدنا في كتابه الإحالة كانت على إحدى مؤلفات لوسيان غولدمان، بينما انعدمت الإحالة انعداما مطلقا على جورج لوكاش الذي يعد أهم أقطاب البنيوية التكوينية.

فهرس الموضوعات

مقدمة	
الفصل الأول: البنيوية التكوينية "المنشأ والمفاهيم"	
05	تمهيد
08	I - جورج لوكاش وتأسيس الجذور
14	II - لوسيان غولدمان
18	III - المفاهيم الأساسية للبنيوية التكوينية:
18	1- رؤية العالم
20	2- الوعي القائم والوعي الممكن
21	3- التماسك
22	4- الشمولية
23	5- البنية الدلالية
الفصل الثاني: تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس من خلال كتابه "ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب"	
27	I- قراءة المتن الشعري
27	1- تجليات البنية السطحية
35	2- تجليات البنية العميقة
38	II- اختراق البنية الثقافية
38	1- النص الغائب
41	2- مراحل تكوين بنية المتن
42	3- الحدود الخمسة للمجال الشعري
44	III- المجال الاجتماعي والتاريخي
44	1- قضايا نظرية
45	2- المجال الاجتماعي والتاريخي للمتن
46	3- بين المتن والواقع

51	خاتمة
53	الملحق
58	ملخص الدراسة باللغة العربية
60	ملخص الدراسة باللغة الفرنسية
63	قائمة المصادر والمراجع
	فهرس الموضوعات

عرفت الساحة النقدية في العصر الحديث العديد من المناهج التي تدرس النص الأدبي قصد الكشف عن نظامه وعلاقاته، وتعد البنيوية أحد هذه المناهج فهي تمثل طريقة وصفية في قراءة النص الأدبي تستند إلى خطوتين أساسيتين هما: التفكيك والتركيب، كما أنها لا تهتم بالمضمون المباشر بل تركز على شكل المضمون وعناصره وبناءه التي تشكل نسقية النص في اختلافاته وتآلفاته؛ ويعني هذا أن النص عبارة عن لعبة اختلافات ونسق من العناصر البنيوية التي تتفاعل فيما بينها وظيفيا داخل نظام ثابت من العلاقات والظواهر التي تتطلب الرصد المحايث والتحليل الواصف، وقد انعكست مفاهيم البنيوية -التي جاء بها أمثال **دوسوسير** و**جاكوبسون**- على كثير مما ساد قبلها وأثرت فيه تأثيرا كثيرا فالأدب لم يعد إبداعا عبقريا يعتمد على قدرة المؤلف الخارقة بل أصبح صيغة كتابية تحكمها قوانين وشعارات، فركزت على أدبية الأدب وهذا ما حسب عليها حتى وقعت في المحذور، كل هذا أدى إلى ظهور البنيوية التكوينية والتي جاءت كرد فعل على المأزق الذي وقعت فيه البنيوية الشكلية خاصة في الفصل الحاد بين داخل النص وخارجه.

إن البنيوية التكوينية أو التوليدية كما يحلو للبعض تسميتها من النظريات التي أثارت جدلا كبيرا خاصة في النقد العربي ، وهي منذ ظهورها عند الغرب سعت إلى محاولة إعادة الاعتبار للعمل الأدبي والفكري في خصوصيته لإضاءة البنيات الدالة وتحديد مستويات المعنى وإنتاجه غير أنها تعد فرعا من فروع الألسنية نشأت في الأساس استجابة لسعي بعض النقاد والمفكرين الماركسيين للتوفيق بين طروحات البنيوية في صيغتها الشكلانية وأسس الفكر الماركسي ، وأهم من أسهم من المفكرين في صياغة هذا الاتجاه كل من **جورج لوكاش** و**لوسيان غولدمان**.

هذه القراءة الجديدة للأعمال الأدبية، والفكرية سدت الثغرات التي وقعت فيها البنيوية الألسنية التي اعتمدت في تحليل العلاقات القائمة بين عناصر العمل الأدبي في داخله دون النظر إلى أية علاقات أخرى بين هذه العناصر وبين أي أمر خارجي وهذا ما تم بالفعل معالجته في البنيوية التكوينية التي فتحت المجال بما لاشك فيه أمام النقاد العرب في محاولة دراسة

الأعمال الأدبية العربية الجاهلية منها والمعاصرة الأمر الذي جعل من هذه البنيوية التيار الأكثر انتشارا في الوطن العربي ويعتبر محمد بنيس من النقاد العرب الحداثيين الذين استعانوا بالاتجاه البنيوي التكويني في دراسته لظاهرة الشعر المعاصر بالمغرب.

أما عن سبب اختيارنا هذا الموضوع يعود إلى أن الدراسة في المناهج النقدية بما فيها البنيوية التكوينية تستحق كل اهتمام خاصة وأن هذا المنهج قد عرف الكثير من الجدل بين قابل ومتحفظ هذا من جهة ومن جهة أخرى سنخصص هذه الدراسة على ناقد مغربي كبير مثل محمد بنيس الذي سنحاول من خلاله معرفة طبيعة نظريته إلى المنهج التكويني ، وذلك بوصفه منهجا حديثا في الدراسات النقدية العربية وعلى هذا فالإشكالية المطروحة هنا:

ما هو تأثير هذا المنهج في نقد محمد بنيس؟ وما هي مظاهر تطبيقاته؟ وإلى أي مدى نجح محمد بنيس في تطبيق المنهج البنيوي التكويني في دراسته هذه؟.

ونهدف من وراء هذا إلى التعرف على البنيوية التكوينية وأسسها النقدية ، وأهم خطواتها الإجرائية ، ومدى قدرة الناقد محمد بنيس على تطبيق هذا المنهج ومحاولة منا للوصول لهذه الغاية اعتمدنا في دراستنا هاته على فصلين جعلنا الفصل الأول خاص بمنشأ البنيوية التكوينية وأهم أعلامها ومفاهيمها.

أما الفصل الثاني فكان حول تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد بنيس وذلك من خلال كتابه الذي اعتمد فيه هذا المنهج (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب).

ولقد استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي معتمدين على جملة من المصادر والمراجع أهمها كتاب محمد بنيس (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب) ، محمد عزام (تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقدية الحداثية)، جابر عصفور (نظريات معاصرة) وغيرها.

وفي الأخير نتوجه بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف زغبة بشير الذي كان له الفضل في هذا الجهد بما قدمه من دعم معنوي وما نشهده له هو قمة التواضع فأدامه الله لنا وأكثر من أمثاله لخدمة بلدنا الجزائر.

الفصل الأول

البنوية التكوينية "المنشأ والمفاهيم"

تمهيد

I- جورج لوكاش وتأسيس الجذور

II- لوسيان غولدمان

III- المفاهيم الأساسية للبنوية التكوينية:

الفصل الثاني

تطبيقات البنيوية التكوينية عند محمد
بنيس من خلال كتابه
"ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب"

I- قراءة المتن الشعري

II- اختراق البنية الثقافية

III- المجال الاجتماعي والتاريخي

مقدمة

فهرس

الموضوعات

الختامة



قائمة
المصادر
والمراجع

المُلخَص

الملاحق

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة المسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

النقد البنيوي التكويني

عند محمد بنيس

من خلال كتابه: ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

فرع: نقد أدبي

تخصص: أدب عربي

حديث

إشراف الأستاذ:

إعداد الطالبة:

زغبة

- لكحالي مروة
بشير

السنة الجامعية: 2013/2012

Résumé

La diversité méthodologique qui étudie le texte afin de découvrir le système, et ses relations, le structuralisme est l'un de ces méthodes. Le structuralisme présente une méthode descriptive pour la lecture du texte littéraire ne prend pas en considération le contenu direct du texte. L'étude structurale se concentre sur la forme du contenu, ses éléments, qui présentent les convergences et les divergences. L'étude littéraire en général s'appuie sur les compétences et les capacités de l'écrivain, elle est devenue une formule régie par des lois et des logiques, elle vise la littéralité, cela qui permet à l'existence du «**Structuralisme Génétique**» ; cette dernière à secourir structuralisme linguistique lorsqu'elle a infiltré l'étude du texte jusqu'au facteur influents culturelles, sociologique et historiques, et relie les résultats littéraires obtenus avec la classe qui produit le texte.

Les critiques arabes sont influencés par « **Structuralisme Génétique** » ils l'ont appliqué sur divers études, parmi eux **Mohamed Bennis** dans son livre le phénomène du poème modéré dans le magreb (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب).

Et pour cela la problématique posée et la suivante : Quelle est l'influence de cette méthode dans la critique de l'écrivain **Mohamed Bennis** ?

Et Quelle sont ces applications ?

Afin d'atteindre ce but, le premier notre étude se porte sur deux axes autour de la naissance des notions du structuralisme génétique, qui a voulu se débarrasser du Marxisme en revalorisant les côtés esthétiques dans le travail artistique et littéraire, c'est un discours qui se répartit entre les paroles qui représentent des difficultés de limitation et de dissociation exemple : la conscience existante et la conscience possible, structure indicative, l'assemblage, la diversité et en premier lieu la citation (la vision du monde) qui est devenue impossible avec **Goldmann**, surtout, et qui a la simple définition que c'est un ensemble d'idées et de pensées qui réunissent les individus d'une classe donnée.

La deuxième partie constitue l'application du structuralisme génétique chez Monsieur **Mohamed Bennis** dans son livre portant : le phénomène du poème modéré dans le magreb. (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب).

Cette méthode a imposé sur **Mohamed Bennis** présente son étude en trois parties : la première qui comporte la compréhension du texte de l'intérieur et cela d'après l'apparition de la structure superficielle puis son interprétation rentrée sur

cette dernière la structure générale, et qui est la profonde les deux dernières parties ont portées un sens illustratif en indiquant les éléments culturelles et en posant la situation sociologique et historique magrébine.

Et on trouve que **Mohamed Bennis** à travers ces division a conçu et reconnu les pas de la méthode structuralisme génétique et ces notions ,il est arrivé à travers ces lectures a réalisé une structure générale et qui la nommé structure de la chute et d'attente qui s'applique sur la tout comme sur la partie , après avoir interer la partie dans le tout et le tout dans la partie ,et cela que definie le structuralisme génétique.

des

Résumé

La diversité méthodologique qui étudie le texte afin de découvrir le système, et ses relations, le structuralisme est l'un de ces méthodes. Le structuralisme présente une méthode descriptive pour la lecture du texte littéraire ne prend pas en considération le contenu direct du texte. L'étude structurale se concentre sur la forme du contenu, ses éléments, qui présentent les convergences et les divergences. L'étude littéraire en général s'appuie sur les compétences et les capacités de l'écrivain, elle est devenue une formule régie par des lois et des logiques, elle vise la littéralité, cela qui permet à l'existence du «**Structuralisme Génétique**» ; cette dernière à secourir structuralisme linguistique lorsqu'elle a infiltré l'étude du texte jusqu'au facteur influents culturelles, sociologique et historiques, et relie les résultats littéraires obtenus avec la classe qui produit le texte.

Les critiques arabes sont influencés par « **Structuralisme Génétique** » ils l'ont appliqué sur divers études, parmi eux **Mohamed Bennis** dans son livre le phénomène du poème modéré dans le magreb (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب).

Et pour cela la problématique posée et la suivante : Quelle est l'influence de cette méthode dans la critique de l'écrivain **Mohamed Bennis** ?

Et Quelle sont ces applications ?

Afin d'atteindre ce but, le premier notre étude se porte sur deux axes autour de la naissance des notions du structuralisme génétique, qui a voulu se débarrasser du Marxisme en revalorisant les côtés esthétiques dans le travail artistique et littéraire, c'est un discours qui se répartit entre les paroles qui représentent des difficultés de limitation et de dissociation exemple : la conscience existante et la conscience possible, structure indicative, l'assemblage, la diversité et en premier lieu la citation (la vision du monde) qui est devenue impossible avec **Goldmann**, surtout, et qui a la simple définition que c'est un ensemble d'idées et de pensées qui réunissent les individus d'une classe donnée.

La deuxième partie constitue l'application du structuralisme génétique chez Monsieur **Mohamed Bennis** dans son livre portant : le phénomène du poème modéré dans le magreb. (ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب).

Cette méthode a imposé sur **Mohamed Bennis** présente son étude en trois parties : la première qui comporte la compréhension du texte de l'intérieur et cela d'après l'apparition de la structure superficielle puis son interprétation la

appliquant cette dernière la structure générale, et aussi que la structure la profonde, les deux dernières parties ont portées un sens ullustratif en indiquant les éléments culturelles et en posant la situation sociologique et historique magrébine.

Et on trouve que **Mohamed Bennis** a travers les parties a conçu et appliqué le structuralisme génétique et ces notions ,il est arrivé à travers ces lectures a réalisé une structure générale , qui la nomma structure de la chute et d'attente qui s'applique globalement partielement , intégration globalement partielement, et cela que definie le structuralisme génétique.

des

